المقدّمة

يقدّم كتاب سيمون كشر، الذي هو أساسًا أطروحة أكاديمية قامت على منهج بحثي مميز من حيث غنى وتنوّع المراجع والمصادر والشهادات التي استندت إليها، قراءة موضوعية ونقدية وشاملة لتجربة الرئيس فؤاد شهاب في السلطة، ولما تركته من نتائج ودروس وعبر على كافة الأصعدة. وينتقل في الجزء الثاني لتقييم تجربة مسار السلطة السياسية في لبنان لاحقًا حتى الأمس القريب، والتعديلات التي أدخلت على الدستور اللبناني نتيجة لاتّفاق الطائف وصلاحيات الرئيس في هذا الإطار، مقارنة مع ما قبل «دستور الطائف». وتركّز الدراسة على ذلك في ظل دينامية التفاعل بين العوامل الخارجية والداخلية التي أثّرت أو حكمت وما زالت تحكم هذا المسار.

يظهر الكاتب في دراسته كيف أن الرئيس شهاب وضع في طليعة أولوياته في السلطة اعتماد استراتيجية عمل تقوم على التغيير التدريجي، الأكثر من ضروري، مدركًا التحديات والعوائق أمام ذلك. وقد هدفت تلك الاستراتيجية إلى نقل لبنان، من نظام قائم على الإقطاع السياسي وعلى الطائفية والمحاصصة يتحكّم فيه من سمّاهم «بأكلة الجبنة» fromagistes إلى نظام يقوم على دولة المؤسسات. فبناء هذه الدولة، حسب ما طرحه الرئيس شهاب أمر أكثر من ضروري لبلورة وتعزيز وصيانة مفهوم الرؤية الموحّدة في تعريف الانتماء إلى الوطن، وبالأخص ترجمته في الممارسة. فلا تكون الوطنية عنوانًا مشتركًا، ولكن ذات تعريفات مختلفة في الفهم والممارسة عند الطائفيات السياسية. هدفت هذه السياسة إلى تعزيز الأمن الوطني بالمفهوم الشامل لهذا الأمن، وذلك بغية الانتقال من دولة الطوائف إلى دولة المواطنة: دولة المؤسسات التي تشكّل نقيضًا لدولة قامت على تطييف السلطة وشخصنتها.

ويعرض الكاتب بشكل مسهب كيف عمل الرئيس شهاب عبر سياساته على بناء الدولة الوطنية، الشرط الضروري لصيانة الاستقلال الوطني وبناء الوحدة المجتمعية حيث التعددية والتنوع في اطار هذه الدولة مصدر للغنى وليس تكريسا للفرقة. التحدي الرئيسي

simon kashar 16 feb 2023.indd 7 2/17/2023 3:15:20 PM

امام الرئيس شهاب كما عرضته الدراسة بمنهج موضوعي وواضح تمثل في العمل على اقامة دولة المؤسسات وتعزيزها على حساب واقع تحكمه «دولة» تقوم على فدرالية من الطائفيات السياسية المتناحرة تارة والمتعاونة طورا على حساب الوطن والمواطن.

يطرح الكاتب في بداية الدراسة إشكالية العلاقة بين التعدّدية السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية والطائفية من جهة، ومفهوم الوحدة الوطنية الحقيقية، من جهة أخرى. ويُظهر في قراءاته ومقارناته مع تجارب أخرى، أن بناء المؤسسات وتفعيلها يعزّز الوحدة الوطنية التي تحتضن بدورها التعدّدية في كافة أشكالها، تعددية تعزّز وتغني بدورها الوحدة الوطنية، كما هي في تجارب عديدة في العالم. دولة المواطنة حسب التجربة الشهابية تعزّزها دولة المؤسسات، التي من أهم أبعادها تقوية وتحصين دور الإدارة العامة، كما تعزّزها أيضًا دولة العدالة الاجتماعية. لذلك تصبح عملية الإصلاح الشامل في كافة أبعاده، وأهمها الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والمؤسسية كما يعرض الكاتب، أكثر من ضرورية لبناء الدولة العادلة والقادرة، الأمر الذي دفع التجربة الشهابية لإيلاء أهمية كبرى للإنماء المناطقي والقطاعي. تحدٍ لم يكن من السهل التعامل بنجاح كلّي معه للعديد من العناصر التي كانت ناظمة وحاكمة للحياة الوطنية. ولكن أعطى التجربة الشهابية أهمية كبرى لمواجهة هذا التحدّي وإطلاق مسار الإصلاح.

وكان للتجربة الشهابية، كما لحظت الدراسة بشكل معمق وواف، أهمية بلورة سياسة خارجية تقوم على التمسّك بالمبادئ والأسس التي يحب أن تستند إليها تلك السياسة، والتي تعكس هوية لبنان بخصوصياتها إلى جانب القيم والأهداف والمصالح الوطنية العليا. كذلك تستند تلك السياسة إلى موقع لبنان في الجغرافيا السياسية في المنطقة وعلاقاته التاريخية، ضمن مقاربة تحترم وتتمسّك بهذه المبادئ والقواعد، ولكنها تتعامل بواقعية مع كافة المعطيات والمتغيّرات الخارجية لصيانة وتعزيز الأمن الوطني للبنان. وليس أدل على ذلك مما يعرضه الكاتب بشأن «اجتماع الخيمة» التاريخي بين الرئيس شهاب والرئيس جمال عبد الناصر، عام ١٩٥٩. الاجتماع الذي شكّل محطة أساسية من جهة ومثالًا بارزًا من جهة أخرى، في بلورة رؤية الشهابية للسياسة الخارجية للبنان، وكذلك لأولويات هذه السياسة ولكيفية إدارتها. كلّ ذلك في خضم العديد من التحدّيات التي تحيط بلبنان والتي ليس من السهل دائمًا التعامل مع تداعياتها وانعكاساتها على الوطن بنجاح.

simon kashar 16 feb 2023.indd 8 2/17/2023 3:15:21 PM

خلاصة الأمر أننا أمام دراسة جد غنيّة في مراجعها النظرية والتاريخية المختلفة، وفي مقاربتها العلمية الموضوعية للقضايا والسمات الأساسية في التجربة الشهابية: تجربة أو تحدّي بناء دولة المؤسسات وتعزيز مفهوم المواطنة عبر الإصلاح المتعدّد الأوجه والأبعاد في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أيًا كانت درجة النجاحات التي تحقّقت. لكن هذه تبقى أكثر من أساسية وضرورية في تعزيز مسار الإصلاح الهيكلي.

هذه هي خلاصات هذا الكتاب، ونحن على مفترق طرق والوقت ضاغط بين الاستمرار في لعبة تجاهل أو ترحيل التحدّيات التي علينا التعامل معها بنجاح لإنقاذ الوطن، وإطلاق مسار إعادة بناء الدولة على أسس مختلفة عمّا وصلنا إليه، كم هو مفيد وضروري القيام بقراءة متأنية لهذا البحث الرصين والموضوعي للتعرّف بشكل موضوعي على كافة جوانب التجربة الشهابية، والاستفادة مما يمكن الاستفادة منه من دروس وعبر، وهي كثيرة وغنية، في العمل على إنقاذ لبنان عبر الإصلاح الفعلي والأكثر من ضروري حتى لا نتحوّل إلى دولة فاشلة، مهما حاول البعض التنكّر أو تجاهل هذه المخاطر.

ناصيف حتي

simon kashar 16 feb 2023.indd 9 2/17/2023 3:15:21 PM